جريدة السفير 2005/2/9

رسالة إلى مؤتمر الرياض: أزيلوا أسباب الإرهاب... لتجنّب وقوعه

يدرك الجميع ان ما يُسمى ب <<الإرهاب>> اصبح مشكلة آنية، وربما مستقبلية، للدول والمجتمعات المعاصرة. فأضحى جزءا من حياتنا اليومية، لا يمر يوم إلا وتتحدث عنه الانباء وتظهر المرئيات عمليات اغتيال وإعدام وتفجيرات وسيارات وأجسادا مفخخة وخسائر مادية وقتلى مدنيين وعسكريين وأطفالا وتلاميذ، من جنوب شرق آسيا الى أفغانستان وكشمير فالعراق وتركيا والجزيرة العربية وفلسطين ومصر، ولا ننسى الشيشان ايضا. ان حصر <<الإرهاب>> اهتمامه مؤخرا في دائرة إسلامية بعامة، والجزيرة العربية بخاصة (اليمن، السعودية، الكويت)، تخطيطا او تنفيذا، جعل المملكة العربية السعودية تدعو خمسين دولة، من ضمنها دول عربية وإسلامية ومنظمات دولية، الى مؤتمر للتنسيق الامني بينها. افتتح المؤتمر في الرياض يوم السبت 5 شباط 2005، ويبدو من الصحف والخطب، ان الهدف الاول له هو الهاجس الامني: كيف يمكن تنسيق التعاون الامني والاستخباراتي لمكافحة الإرهاب عبر مركز دولي <<سعيا الى تجنب الأحداث قبل وقوعها>>؟، كما جاء على لسان ولي العهد السعودي الامير عبد الله. ونحن مع الامير في ان الإرهاب <<لا ينتمي الى حضارة ولا ينتمي الى دين>>، وندين في الوقت نفسه ما حصل في 11 ايلول وكل الممارسات الإرهابية التي تحصد المدنيين والابرياء في الجزيرة العربية وخارجها.

ان القضاء على <<الإرهاب>> يتطلب جهودا دولية على المستوى الامني وتبادل المعلومات والخبرات. لكن التركيز على هاجس الأمن، كما جاء في كلمة الامير عبد الله، ربما يجعل المؤتمرين ينظرون الى المسألة بعين امنية اميركية لا سواها. فبعد 11 ايلول، بدأت الولايات المتحدة تعمل على تحقيق مخططاتها العولمية تحت ستار مكافحة <<الإرهاب الإسلامي>>، مستخدمة امنها القومي وأمن الدول في العالم كذريعة. فتمكنت من احتلال افغانستان والعراق. وهي تريد محاربة الإرهاب، كما جاء على لسان مستشارة الامن الداخلي فرانسيس تاونسند، بالتهديد والوعيد من دون تقصي مسبباته، وجل ما نخشاه ان يتحول مؤتمر الرياض الى مؤتمر أمني، كما تريده الولايات المتحدة، اي التصفية الجسدية للإرهاب من دون البحث في مسبباته ودوافعه ومعالجتها.

ان هذا لا يؤدي، برأينا، الى القضاء على الإرهاب. ولعل كلام عمرو موسى، الأمين العام لجامعة الدول العربية، في افتتاح المؤتمر عن ان <<أحد اسباب العنف الرئيسية إنما هو الاحباط والغضب اللذان يصاحبان اليأس من التوصل الى تسويات عادلة ومنصفة لقضايا الشعوب>> يلامس جانبا من المشكلة. ف <<تجنب الاحداث قبل وقوعها>>، كما جاء في كلمة الامير عبد الله، يعني ان الاهتمام سوف يتركز، عبر المركز الدولي لمكافحة الإرهاب، على منع الحدث الإرهابي بوسائل امنية، مما يبقي على مسبباته كامنة من دون استئصال. ولا يتحقق استئصال ظاهرة الإرهاب، الا

من خلال معرفة مسبباتها ودوافعها المتداخلة بين ما يحدث خارج البلدان العربية والإسلامية وما يحدث داخلها، اي التعامل مع مشاعر العرب والمسلمين في انهم محاصرون من قبل الخارج الاستعماري والداخل الفاسد. وبرأينا، تندرج مسببات <<الإرهاب الإسلامي>> ودوافعه تحت العناوين التالية:

1 شعور المسلمين بالظلم والقهر والاضطهاد يولد العنف

منذ الحملات الصليبية وغزو المغول للمنطقة، والقضاء على دولة محمد علي باشا في مصر، وتعرض الدولة العثمانية لهجوم دول الاستعمار، ثم الاتفاقيات والمعاهدات السرية بين هذه الدول لتقاسم المنطقة، ووقوع البلدان العربية بعد ذلك تحت الانتداب، وإنشاء دولة إسرائيل وظهور النفط، تتوالد مشاعر لدى العرب والمسلمين بأن منطقتهم ودينهم مستهدفان من قبل الآخرين. لكن وجود نظام القطبين حتى التسعينيات من القرن الماضي، عطّل الى حين استكمال المخططات الخارجية. وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي والشيوعية، أصبحت المقولة الشائعة ان الإسلام كحضارة أضحى العدو المقبل للغرب كحضارة مسيحية (نظرية هانتغتون)، وراج الحديث في الأدبيات السياسية والفكرية الغربية ووسائل الإعلام حول عداوة بين الإسلام والمسيحية تعود الى ألف عام.

وقبل 11 ايلول وبعده وتداعياته في أفغانستان والعراق وفلسطين، أصبح الإسلام إرهابا، يقتضي محاربته ب <<حرب صليبية>> (تصريحات الرئيس بوش)، نظرا للعدوانية التي تمثلت فيها عمليات 11 ايلول. فأشعل ذلك الحقد والكراهية ضد الإسلام في العالم. و<<العدوانية الإسلامية>> هذه ليست، برأينا، في جوهر الإسلام. يشعر المسلمون اليوم بأنهم مهددون وغير آمنين ومحبطون، نتيجة تعرضهم للظلم والقهر على أيدي القوى الأجنبية، ودعم الغرب لأنظمة حكم عربية وإسلامية فاسدة متجهة لتمثيل مصالحه، فضلا عن تبعية هذه الأنظمة له. كما طروحات الغرب، والولايات المتحدة تحديدا، حول الإصلاح والديموقراطية والعدالة والمساواة الاجتماعية، تجسدت متناقضة على ارض الواقع، هيمنة وإشباع مصالح. ومن الأمثلة على ذلك، ما يحدث في فلسطين والعراق، وعدم تطبيق قرارات الأمم المتحدة على إسرائيل، والسكوت عن إرهابها وتبريره من قبل الأميركيين. وفي ضوء هذه الظروف والمعايير المتناقضة والكيل بمكيالين، وعدم تكافؤ إمكانية الرد، نمت الأصولية الإسلامية المسلحة وإستراتيجية القنابل البشرية للدفاع عن البلدان الإسلامية ونقل المعركة الى قلب <<العدو>>. نظر العالم الى القنابل البشرية الإسلامية ومفجري الطائرات على انهم إرهابيون. لكن تبين انهم أصحاب قضية لا يهابون الموت، مهما كانت إيديولوجية هذه القضية وطريقة تنفيذها. ففي أواخر عام 1987، قام الفلسطينيون بانتفاضتهم الأولى مستعملين الحجارة. وفي عام 2000 ألقوا الحجارة وحملوا السلاح، بعدما أصيبوا بالإحباط واليأس من السياستين الإسرائيلية والأميركية ومن أنظمتهم العربية، نتيجة التحامل على قضيتهم، وإجهاز شارون عليهم وعلى السلطة الفلسطينية أمام عدسات الفضائيات.

2 دعم الغرب أنظمة عربية وإسلامية فاسدة

هناك استياء لدى الشعوب العربية والإسلامية من حكوماتهم وأنظمتهم المدنية او العسكرية او الوراثية المتربعة على الحكم. فهناك انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان، وتعاني منظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام من قيود قاسية عليها، وتنتهك كل حقوق الجماعات والأقليات والنساء، وبخاصة ما يتعلق منها بالزواج والطلاق ورعاية الأبناء. كما يتدنى مستوى التمتع بالحرية بشكل متفاوت في جميع البلدان العربية، ويتعرض الصحافيون للملاحقة والاعتقال. وأمتد التضييق على حرية الرأي والتعبير إلى مجالات الإبداع الأدبي والفني، حتى أن أغاني تراثية وروائع أدبية منعت من التداول، وأخرها كتاب "النبي" لجبران خليل حبران وكتاب "تاريخ القرآن" للمستشرق الألماني نولدكه، الذي منعته دار الفتوى والأمن العام في لبنان.

حتى 11 أيلول، ظلت الولايات المتحدة ومعها أوروبا تغض الطرف عن الأنظمة العربية وبلدان الخليج، التي تعتبرها استبدادية وغير ديموقراطية. كان النفط قبل سقوط الاتحاد السوفياتي وبعده، والموقع الاستراتيجي لمنطقة الخليج، يدخلان في مجال الأمن القومي الأميركي والأوروبي. ومن اجل ذلك، تغاضت الولايات المتحدة والأوربيون عما يحدث داخل تلك البلدان من قهر وقمع ونهب للثروات الوطنية والانفراد في السلطة، وهو ما تؤكده منظمات حقوق الإنسان وغيرها، الى ان وقعت حادثة 11 أيلول، وتبين ان معظم مخططي الهجوم ومنفذيه على نيويورك والبنتاغون هم سعوديون.

وفي الجانب الآخر لحدود السعودية الشمالية، تغاضت الولايات المتحدة عن دموية نظام صدام حسين. ولأنه كان يحارب الأصولية الإسلامية المتمثلة بالثورة الإيرانية بعد زوال النظام الاستبدادي لحليفها شاه ايران، حصل صدام على دعمها ودعم دول الخليج العربية الخائفة من الأصولية الإيرانية، وقيل ان أسلحة الدمار الشامل التي استعملها النظام العراقي ضد الأكراد، وصلته من الولايات المتحدة في أعقاب زيارة رامسفيلد الى بغداد. لكن، عندما انتفت حاجة واشنطن الى صدام حسين، اقتلعته في حرب الخليج الثالثة، تمهيدا لحقبة جديدة للولايات المتحدة في المنطقة.

وفي دول عربية أخرى، ليس الوضع احسن حالا. فتحت أعين الولايات المتحدة وسمعها، تنتهك كل يوم كرامة الشعوب العربية وحقها في الحرية والعدالة الاجتماعية والحياة الكريمة على أيدي أنظمة استبدادية قمعية. وعدا الأنظمة الاستبدادية الحاكمة في الخليج والأردن والمغرب، تحولت أنظمة عربية أخرى الى ما يشبه الوراثة: مصر وسوريا وليبيا. وفي بلدان عربية أخرى، تحكم العائلة او العشيرة من خلال ممثلها في السلطة. ان كل هذا معروف لدى الولايات المتحدة. لكنها لم تحرك ساكنا وهي <<قلعة>> الديموقراطية في العالم. فكان همها الحصول على ثروات المنطقة فقط ودعم أنظمة فاسدة. بعد 11 ايلول تغير المشهد. رأت واشنطن ان محاربة <<الإرهاب الإسلامي>> لا تقتصر على ارسال الجيوش، بل يجب ان يصاحبها تغيير المجتمعات الإسلامية و<<أمركتها>>.

3 الإصلاح من الخارج

بدأ الأميركيون يرفعون شعارات إصلاح العالمين العربي والإسلامي بعد 11 ايلول، ولحقت بهم اوروبا كذلك. وانحصرت <<الصادرات>> بالديموقراطية على الطراز الأميركي، وحقوق الانسان والحرية والمساواة الاجتماعية وعلمنة التعليم... وصولا الى وضع دساتير عصرية. وتعتقد الولايات المتحدة ان محاربة <<الإرهاب الإسلامي>> إنما تتطلب القيام بإصلاحات. واكثر ما تعمل عليه واشنطن، هو علمنة او عولمة التعليم العربي والإسلامي، وهي ترى ان ذلك كفيل بإحداث نقلة نوعية نحو <<أمركة>> الثقافة الإسلامية والقضاء على جذور الإرهاب. وتعمل السياسة الأميركية نحو إلغاء المناهج التعليمية العربية المعادية للسامية او تلك التي تحض على الفكر الأصولي وترفض حرية المعتقد، بالإضافة الى ابراز دور الحضارة الغربية في التقدم الإنساني. وقد طلبت الإدارة لأميركية من السعودية إدخال الديموقراطية الى البلاد والقيام بإصلاحات اجتماعية وأخرى دينية.

لكن هناك من يرفض الإصلاحات الأميركية الآتية من الخارج: الحكام العرب والشعوب العربية، كل منهم في إطار مصالح متناقضة. فالحكام العرب، يرفضون الإصلاحات لأنهم يعرفون أنها لن تكون في مصلحتهم، ولا لأنظمتهم الوراثية والقمعية. وهم يشترطون ان يسبق الإصلاحات حل عادل للقضيتين الفلسطينية والعراقية، وهو امر يصعب التكهن فيه في المدى المنظور، في ضوء العجز العربي والتسلط الإسرائيلي والانحياز الأميركي وعدم رغبة واشنطن في الانسحاب من العراق. ومن ذرائع الأنظمة العربية لرفض الإصلاحات <<المستوردة>>، ان استنهاض الشعوب لا يكون بمشاريع معلبة من الخارج، لأن منهج التغيير لا يتم إلا في نطاق القيم السياسية الثقافية والدينية للأمة. هل هي ذريعة صحيحة. لكن الأنظمة العربية ما عملت يوما على ان تكون نواة حركة التغيير في مجتمعاتها. بل كبلتها بإجراءات قمعية وقوانين طوارئ بعيدة عن الديموقراطية في أدنى مستوياتها. لقد خاب أمل الجماهير العربية من فشل انظمتها في حل المشكلات الاجتماعية الاقتصادية من خلال نماذج القومية والليبرالية والاشتراكية، التي اعتبرت في نظر المسلمين <<مستوردات اجنبية>>. ومن يتابع المرئي والمقروء، يرَ الى اي حد يتم الاستخفاف بالمطالب الشعبية لاجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية ديموقراطية وقيام المؤسسات.

أما لجهة الجماهير العربية، فهي ترفض بدورها الإصلاحات التي تأتيها من فوهات المدافع وصواريخ الطائرات الأميركية والإسرائيلية في العراق وفلسطين. فكيف يصدق الإنسان العربي ان الولايات المتحدة الموجودة في العراق تناضل وترسل جيوشها من اجل إعطائه الحرية والديموقراطية والإصلاحات، فيما تدعم الأنظمة العربية التسلطية وينتهك جنودها كل يوم كرامات العراقيين ويدنسون ارضهم؟ وكيف يصدق العربي ان الولايات المتحدة هي مع دولة فلسطينية مستقلة، فيما تؤيد هي تدمير مقوماتها على أيدي الإسرائيليين؟

4 عدم كفاية التنمية البشرية

إن العرب يتفوقون على الإسرائيليين في عدد السكان وفي المجال الجغرافي. ويتمتع العالم العربي بثروات طبيعية، أهمها النفط والغاز. واكبر إحتياط نفطي في العالم موجود في الخليج العربي. هذه الثروات والطاقات يمكنها، لو استخدمت بالشكلين العلمي والديموقراطي الصحيحين،

أن تحدث تغييرا حقيقيا في العالم العربي. لكن ما حصل عكس ذلك. وأوضح مثال على ذلك، هو خسارة العرب أمام عدوهم التاريخي في الحرب والسلم. إن ناتج إسرائيل السنوي قدره 100 مليار دولار إلى 120 مليار دولار، أي سدس الناتج القومي العربي. ويبلغ دخل المواطن فيها 16 ألف دولار إلى 18 ألف دولار سنوياً، في حين أن خارطة أحوال المعيشية تقدر دخل المواطن العربي بحوالى 2500 دولار سنوياً.

وبإلقاء نظرة سريعة على أحوال المعيشة في الوطن العربي، يتبين لنا إن معدلات الأمية في العالم العربي وصلت عام 2004 الى 70 مليونا، اي ما يزيد عن 35%، مقارنة ب 18% معدلها في العالم. ووفق تقرير دولي، فأن ثلث الرجال في العالم العربي، ونصف النساء يتميزون بالأمية الهجائية. وهناك 32 مليون عربي يعانون من نقص في التغذية في خمسة عشر بلداً عربياً، أي ما يوازي نسبة 12% من سكان هذه الدول. وفي التسعينيات، ازداد العدد المطلق لناقصي التغذية في الوطن العربي بأكثر من ستة ملايين نسمة، وكانت أسوأ النتائج في الصومال حيث الحرب الأهلية والاضطرابات الداخلية، وفي العراق الذي يعاني من الحصار الدولي عليه. زد على ذلك، فإن استخدام الكومبيوتر والانترنت يكاد يكون معدوما. يضاف الى ذلك، سوء توزيع الثروة في العالم العربي، وتفشي الفقر (بين 40% الى 50% من السكان العرب يعيشون بأقل من دولارين يوميا)، وهو وضع مرشح للاستمرار. وفي القمة العالمية لمؤتمر المعلومات الذي انعقد في جنيف عام 2003، حظيت الفجوة الرقمية (Digital Divide) اعلى اهتمام كبير، وهي لتي يؤشر إليها بالمستويات العلمية والتكنولوجية والتنظيمية والتشريعية، وفجوات الدخل والغذاء والمأوى والرعاية الصحية والتعليم والعمل، فضلاً عن فجوات البنى التحتية بسبب غياب السياسات وعدم توافر شبكات الاتصالات، وفي التقصير في تأهيل القوى العاملة.

ومن المؤشرات الأخرى على المأزق العربي، زيادة اعداد السكان وارتفاع نسبة الوفيات. إن أعلى نسبة بطالة في العالم موجودة في الوطن العربي (18% عام 2002). كما يتميز العالم العربي بتراجع احوال المعيشة، والتفاوت في مجالات التنمية البشرية بين دولة عربية وأخرى، وسوء التغذية ونقصها، والهجرة من الارياف الى المدن، وتراكم الديون وفوائدها، والاستغلال غير الرشيد للموارد الطبيعية، ونقص الموارد المائية وتلوثها، وضعف إمكانيات المؤسسات التعليمية والبحثية وتأخرها عن مواكبة مسيرة التقدم العلمي والتقني في العالم، وانخفاض إنتاجية الفرد العربي.

وفي المقابل، تلاحظ الشعوب العربية الانفاق الهائل لأنظمة عربية حاكمة وحواشيها والمحسوبين على أمورهم الشخصية، فضلا عن نهبهم اموال الدولة ومواردها ومركزة المشاريع في ايديهم وبناء القصور وتبذيرهم وترفهم المفرط... الى ذلك، تصرف الأنظمة العربية الاموال الطائلة على التسلح، ليس ضد إسرائيل، في وقت سكنت فيه الجبهات معها، وإنما ضد بعضها البعض. ان متوسط انفاق الفرد على الدفاع عالميا هو 141 دولارا، وفي الدول النامية 34 دولارا، وفي الكويت 2019 دولارا، وفي سلطنة عمان 1149 دولارا للفرد. كل هذه الأمور تقف وراء إحباط الشعوب العربية وسخطها، وهي ترى ان مقدرات البلاد وثرواتها تستعمل لغير مصلحتها وتقع في أيدي اسر او عشائر او مجموعة من العسكريين السابقين. عندما كنت في زيارة الى الأقصر قبل حوالى الشهر، كان ما يقرب من 350 سفينة راسية في النيل يحتفل ركابها السياح بعيد رأس السنة الميلادية. أضواء ملونة وصيحات تصل الى داخل المدينة. وعلى النقيض من ذلك، كان هناك فتية فقراء يجلسون على الرصيف المقابل للمرسى يشاهدون ويسمعون

الموسيقى الصاخبة والأصوات المرتفعة وكؤوس الخمر تتمايل بحسرة وألم، ولكن بكراهية، ويقولون في أنفسهم: لماذا هم وليس نحن؟ ان المواطن العادي الذي يشاهد عروض السيارات الجديدة البراقة الخارقة على التلفاز ويرى كيف يتجول الخليجيون بينها لشراء <<حبة>> او اكثر منها، أو كيف تصرف أموال "النفط" العربي على العاهرات وموائد القمار والعربدة وعلى القصور الفاخرة الخ...، لا يمكن ان نقنعه بأن هناك مساواة اجتماعية وتوزيعا عادلا للثروة في العالم العربي. من هنا، بدأ ينشأ عند الشعوب العربية إحباط ويأس وحقد. فيرى البعض منهم، أن الخلاص أنما يكمن في التركيز على الإسلام كعنصر هوية. لذلك، نشأت حركات إسلامية تحت مصطلحات السلفية واعادة نشر الدعوة الإسلامية وتجديد الإسلام. فأصبح هناك مسلمون يتحدثون عن الإسلام كرمز هوية، وآخرون يقومون بواجباتهم الدينية ويتقبلون العلمنة في الوقت نفسه. وهناك فئة ثالثة، إرادت ان تطبع الحياتين العامة والخاصة بطابع الإسلام، وان تستخدم لأجل ذلك كل الوسائل من الوعظ الى السيف والمتفجرة والقنبلة البشرية وتفجير الطائرات.

5 فشل الصراع مع العدو الصهيوني

نبدأ بطرح التساؤل التالي: ما الذي مكّن إسرائيل من ان تتغلب على العرب الذين يتفوقون عليها سكانا وثروات ومساحة جغرافية... الخ؟ وما الذي يجعل العرب يخسرون معاركهم امام الدولة العبرية؟ ان مساحة إسرائيل هو 21,920 كلم مربعا، وعدد سكانها حوالى 6 ملايين نسمة. في المقابل، تبلغ مساحة الدول العربية المحيطة بإسرائيل (مصر وسوريا والأردن ولبنان) اكثر من مليون كلم مربع، وحجم سكانها يصل الى 100 مليون نسمة. واذا اعتبرنا ان دول جامعة الدول العربية تتضامن بشكل او بآخر في ما بينها ضد إسرائيل، فمعنى ذلك ان على إسرائيل ان تواجه دولا مساحتها 13,6 مليون كلم مربع، وتعداد سكانها الى ما يقرب من 300 مليون نسمة.

بالنسبة الى إسرائيل، فإن ما يجعلها تتفوق على العرب هو في الدرجة الاولى نظامها السياسي الاجتماعي الديموقراطي، والتلاحم المجتمعي، وسياسات التنمية الدائمة، والتصنيع العسكري والالكتروني، والتقدم العلمي البحثي والتكنولوجي، والقوة العسكرية بمستوياتها كافة، وعسكرة المجتمع، والارادة الشعبية في الدفاع عن النظام والكيان. فضلا عن ذلك، فإسرائيل حليف استراتيجي للولايات المتحدة وتتلقى منها كل انواع الدعم، وتزيد من قدراتها الذاتية.

أما بالنسبة الى العرب، فعلى الرغم من مقومات التوحيد المعروفة وموارد الوطن العربي، فإن هزيمتهم أمام عدوهم تعود الى وجود حالة الانفصام في الوعي الاستراتيجي لديهم تجاه الصهيونية، والى افتقاد مركزة القرار السياسي القومي، وغياب الديموقراطية، وسيادة الأنظمة القمعية، واضطهاد الأقليات، والتجزئة السياسية وتأصل فكرة القطرية، وتبعية الأنظمة للخارج، وعدم حدوث تكامل قومي اقتصادي سياسي أمني وفقا لاستراتيجية شاملة موحدة. هذا فضلا عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي أتينا على ذكرها سابقا.
لقد خاب أمل الجماهير العربية من تضليل الأنظمة العربية لها وادعاء المقدرة على مجابهة إسرائيل، عبر استعراض الجيوش الجرارة في المناسبات الوطنية وجعل تحرير فلسطين على الدوام في الخطاب السياسي، بالطبع قبل الانتفاضة الثانية. ففي كل هزائمهم امام عدوهم بين عامي 1948 و1973، قدموا الى جماهيرهم ذرائع <<مقنعة>> لنكباتهم. وعندما كانت إسرائيل تقوم باجتياحاتها الجوية للبنان، فضلا عن احتلالها لجنوبه، كانت الأنظمة العربية، من الخليج الى المحيط، تتقاعس عن نجدة لبنان، وحجتها عدم إفساح المجال أمام إسرائيل لتوقيت المعركة. وعندما

اجتاحت إسرائيل الضفة الغربية في نيسان 2002، انزوى الزعماء العرب في قصورهم ومنتجعاتهم يشاهدون المأساة عن بُعد، مبررين تلاشي النخوة العربية عندهم الى انهم يعملون من اجل السلام كخيار استراتيجي. تعرف الجماهير العربية انه لا يوجد عند العرب لا خيار استراتيجي عسكري ولا خيار سلام استراتيجي. فالعرب، لم يطوروا يوما استراتيجية لمواجهة إسرائيل، كما لم يطوروا استراتيجية للسلام معها، فذهب كل وحده الى السلام معها، ولا استرجاع لفلسطين. لذا، هناك حالة خوف وفزع من ان يتم ابتلاع الضفة الغربية وقطاع غزة ومعهما العراق، ومن بعد؟

6 كراهية العرب والمسلمين للولايات المتحدة

يطرح الأميركيون على الدوام السؤال التالي: لماذا يكرهنا العرب؟ وقبل ان يحصلوا على الإجابة، يسارعون الى تبرير سياتهم على الطريقة الأميركية التي تنظر الى الآخرين على أنهم أغبياء. فينفون وجود أقلية من المحافظين الجدد، معظمهم من اليهود، تقود السياسة في البيت الأبيض والبنتاغون، او ان إسرائيل تسيطر على القرار الأميركي. ويدّعون ان الولايات المتحدة قدمت مبادرات سلام عديدة خلال رئاسة بوش الابن للبيت الأبيض، لم يحسن الفلسطينيون الاستفادة منها. ولا تكتفي واشنطن بتبرير سياستها ضد العرب بالأقوال، بل تحاول تجنيد ابواق إعلامية عربية لتبيض <<وجهها القبيح>> بين العرب والمسلمين. لم يكن العرب في يوم من الأيام يكرهون الأميركيين. فصورة أميركا ولسون ودعمه تقرير العرب لمصيرهم وبعثة كينغ كرابن، كانت ايجابية، على عكس نظرة الشعوب العربية لقوى الاستعمار الأوروبي الأخرى. ومنذ الأربعينيات من القرن العشرين، اهتزت صورة الولايات المتحدة في العالم العربي بفعل مسألتين: دعمها المتواصل لإقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وسياستها الامبريالية في الخليج العربي واعتباره منطقة حيوية لأمنها القومي. وعندما سلّم العرب أخيرا بعد الحرب العربية الإسرائيلية عام 1973 بأن كل إمكانيات الحل السلمي لأزمة الشرق الأوسط هي في يد الولايات المتحدة، قامت بإخراج مصر، كأقوى دولة عربية مركزية في الصراع العربي الإسرائيلي. فكان لذلك تداعيات خطيرة نحصدها حتى يومنا هذا. كما زادت واشنطن في الوقت نفسه من تحالفها الاستراتيجي مع إسرائيل ومن انحيازها الصارخ لها. فكان رد القيادات العربية، خليجية وغيرها، ان زادت من مدخراتها واستثماراتها في الولايات المتحدة. لكن هذا <<اللوبي العربي>> فشل في تحييد الولايات المتحدة في الصراع في الشرق الأوسط.

عندما يفجر استشهادي نفسه وسط مدنيين إسرائيليين، وهو ما أساء كثيراً إلى صورة العرب في الخارج،، تسارع الولايات المتحدة الى شجب هذا العمل <<الإرهابي>> بعنف وتشن حملة إعلامية على حماس والجهاد الإسلامي ومعهما السلطة الفلسطينية. لكنها كانت تجد التبريرات لإسرائيل عندما تستعمل الأسلوب نفسه ضد المدنيين الفلسطينيين وتدمر بيوتهم وأراضيهم. وبضوء اخضر أميركي، <<سجن>> زعيم عربي (ياسر عرفات) أكثر من سنتين في غرفتين، من دون ان تتحرك الديموقراطية الأميركية او الزعماء العرب. مسألة أخرى زادت من كراهية العرب لسياسة الولايات المتحدة، وليس للأميركيين، هي غزو العراق. لقد استعمل الأميركيون شتى الذرائع (أسلحة الدمار الشامل التي لم تكتشف) وتجاوزوا قرارات مجلس الأمن من اجل احتلال هذا البلد العربي. وكانت حجتهم نشر الحرية والديموقراطية في بلد عاش طويلا في ظلمات الديكتاتورية. فكانت هذه الحرية، الفوضى والقتل والتسلط والمستقبل المجهول للعراق. لقد صدم المواطن العربي بما جرى في أبو غريب من تعذيب وتشويه وإهانة للإنسان العربي، وهو لم ينس ما قام به الأميركيون من تقطيع للرؤوس في فيتنام. شاهد المواطن العربي تدمير النجف والفلوجة، واقتحام

الحرمات ودُور العبادة، والقصف بالطائرات على الطريقة الإسرائيلية. فكيف نطلب اليه ألا يكره الولايات المتحدة؟

في كانون الأول 2004، طالبت شخصيات بريطانية بلير بالتحقيق عما نشر عن مقتل 100 ألف عراقي في الاجتياح الأميركي للعراق. والمواطن العربي يعرف ان النفط والسيطرة والمصالح هي وراء الغزو <<التحريري>> الأميركي للعراق. وبسبب التحالف ما بين الولايات المتحدة وإسرائيل وتطور الاحداث في المنطقة، أصبح المواطن العربي، عندما يرى سائحا إسرائيليا او أميركيا، يتذكر أيدي حكومتيهما الملطخة بدم المسلمين والعرب. ان الذاكرة الجماعية العربية تختزن بداخلها كل إرهاب الولايات المتحدة وإسرائيل. فكيف نطلب الى العرب الشرفاء ان يحبوا أميركا؟ وكيف يمكن ان يصدقوا ان المستهدف <<بالإرهاب الإسلامي>> هم حفنة من المجرمين، وليس الإسلام والمسلمين؟ وكما ان أفغانستان أفرزت <<القاعدة>>، فإن فلسطين والعراق عربا مسلمين لا يرون وسيلة للانقاذ سوى في كراهية الأميركيين ومحاربتهم بالشكل البشع غير الإنساني الذي نراه اليوم. إذاً، صناعة الكراهية قامت بها الولايات المتحدة وقياداتها، وليس العرب والمسلمين.

7- تفسيرات أحادية للإسلام والنص القرآني ومفاهيم ومصطلحات تطفو على السطح تتعلق مباشرة بـ "الآخر". على المسلمين أن يدركوا أنهم لا يعيشون اليوم ضمن مقولات "دار الإسلام" و"دار الحرب"، وأن عليهم توسيع "دار الإسلام" عبر شنّ الحرب على العالم الغربي المسيحي وأسلمته. لقد انتهت هذه المرحلة من تاريخ العلاقات الدولية، ولم يعد بالإمكان استخدام مصطلح "الجهاد" واعتباره جهاداً عسكرياً يخول قتل ا"لآخر" المختلف، أو "الآخر" المنتمي إلى نفس الدين والثقافة وتفجيره ونحره بأبشع الطرق الهمجية. وليس استخدام الولايات المتحدة وغيرها من الدول أساليب غير إنسانية، بل همجية، في تعاطيها مع الشعوب الأخرى والتعامل معها، يبرر القتل باسم الإسلام الذي نراه يحدث كل يوم في العراق وأفغانستان والشيشان وفلسطين الخ....

صحيح، إن الأسباب الستة التي أتينا على ذكرها هي مسببات تزيد من إحباط المسلمين وتدفعهم لمقاومة النظام الطاغي العالمي الجديد، لكنها الرد على ذلك ضمن مقولة "العين بالعين والسن بالسن"، أي قتل همجي بشع لمدنيين بقتل همجي بشع لمدنيين آخرين، هو خارج عن الإسلام والتعاليم الإسلامية. لقد أساء "الإسلام العنفي" كثيراً إلى المسلمين وإلى الدول الإسلامية وأعطى الولايات المتحدة وحلفائها الشرعية للانقضاض على العالم الإسلامي بذريعة تخليص العالم من "الإرهاب الإسلام". كما أساءت الهجمات غير المبررة على المدنيين في العالم إلى أوضاع الجاليات الإسلامية في الخارج، مما أضعف من وجودها وتأثيرها في الحياتين السياسية والاجتماعية حيث وجدت.

من الواضح إذاً، ان لا نهاية للإرهاب من دون استئصال مسبباته. وهذه المسببات تتداخل بين ما هو داخلي وما هو خارجي. فيجب العمل على كليهما معا. فلعل جهود المؤتمرين في الرياض تتركز على ايجاد الحلول لكل اسباب الإرهاب ودوافعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والنفسية، وليس الاكتفاء بإنشاء مركز لمكافحة وقوع الحدث الإرهابي.

(□) أستاذ في الجامعة اللبنانية